

التفاعل مع آيات القرآن

دراسة تطبيقية

مقارنة بما عليه واقع حياتنا

د. نزار احمد عبد الله النويري
جامعة ام در مان الاسلامية

اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(١)

يقول النبي صلى الله عليه وسلم متوعداً بالنار لمن جعل القرآن خلف ظهره: (القرآن شافعٌ مُشفع، وماحِلٌ^(٢) مُصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله من خلف ظهره ساقه إلى النار)^(٣).

ومع هذه النصوص التي تحذر من الإعراض عن القرآن وعدم التفاعل مع آياته بالحواس والوجدان نجد من المسلمين من استبدل الاستماع إلى الآيات بسماع الموسيقى والأغنيات، ومنهم من يبكي عند الهزيمة في المباريات، أو يبكي فرحاً عند الانتصارات! ولكنه لا يحرك ساكناً عند سماع الآيات!

ومنهم من يكتب آيات القرآن على المباني ويزين بها الجدران، ومنهم من يحفظ القرآن ويتلوه أنا الليل وأطراف النهار، وهو مصرٌّ على الآثام، ومقصرٌ في تطبيق القرآن في الأخلاق والمعاملات والأقضية والأحكام.

ومنهم من يضع القرآن على الرفوف حتى يعلوه الغبار، وتنتلفه السيول والأمطار. هذا واقعنا مع القرآن، فكيف تفاعل الكون بأنسه وجنه وملائكته وبشجره وحجره مع القرآن.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
أَمَّا بَعْدُ،

لقد حث الله جل وعلا على تدبر القرآن الكريم والتفاعل مع آياته بقوله: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)^(١)، وحذر من هجرانه، بقوله: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)^(٢). يقول ابن كثير: (...) ومن هجرانه ترك تدبره وتفهمه، ومن هجرانه ترك العمل به من امتثال أمره واجتناب زواجره، ومن هجرانه العدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو...^(٣)

وقد ذم الله اليهود لتلاوتهم للتوراة من غير تدبر وعمل بقوله: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)^(٤)، إلا أمانِي: أي تلاوة^(٥).

وقال في شأنهم أيضاً: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ

صلى الله عليه وسلم اقرأ عليّ قلْتُ يَا رَسُولَ
اللهِ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ قَالَ نَعَمْ فَقَرَأْتُ
سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ:
(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ
عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)^(١). قَالَ حُسْبُكَ الْآنَ فَالْتَقْتُ
إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرَفَانِ^(٢).

لما نزل قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ)^(٣) على النبي صلى الله عليه وسلم
قام يصلي، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فراه
يبكي فقال: يا رسول الله، أتبكي وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! فقال: (يا بلال،
أفلا أكون عبداً شكوراً ولقد أنزل الله على
الليلة آية «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ»
- ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)^(٤).

وفي رواية: عن عبيد بن عمرو رضي الله
عنه أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أخبريني
بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم، قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة
من الليالي، قال يا عائشة: ذريني أتعبد لربي،
قلت: والله إنني أحب قربك، وأحب ما يسرك.
قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم
يزل يبكي حتى بل حجره، وكان جالساً، فلم
يزل حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى حتى بل
الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه
يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال: أفلا أكون
عبداً شكوراً! لقد نزلت عليّ آية، ويل لمن قرأها

هذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال هذا
البحث، لعلنا نتجاوب مع آياته بامتثال
أوامره واجتناب زواجره.

ومن خلال هذا البحث نلقت الأنظار إلى ما
كان عليه الصحابة الأطهار، من التفاعل مع
نصوص القرآن وتطبيقها في واقع حياتهم
العملية. مقارنة بما عليه المسلمون في عالمنا
المعاصر.

وعليه قسم الباحث الموضوع إلى ستة
مباحث، تفصيلها كالآتي:

المبحث الأول: تفاعل النبي صلى الله عليه
وسلم مع آيات القرآن.

المبحث الثاني: تفاعل الصحابة رضي الله
عنهم مع آيات القرآن.

المبحث الثالث: تفاعل الملائكة مع آيات
القرآن.

المبحث الرابع: تفاعل الجمادات والنباتات
مع آيات القرآن.

المبحث الخامس: تفاعل الجن مع آيات
القرآن.

المبحث السادس: تفاعل المشركين مع آيات
القرآن.

المبحث الأول

تفاعل النبي صلى الله عليه وسلم مع آيات القرآن
تفاعل النبي صلى الله عليه وسلم عند سماع القرآن
وقرأته:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ

وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا... (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... الْآيَةِ)
(١٣).

هذا سيد الخلق وإمام المتقين، يسمع آيات الله سبحانه وتعالى فيتأثر بها ويبكي، فما بالنا نحن عندما نسمع كلام الله جل وعلا لا نتأثر ولا نتفاعل معها. فإذا كان الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يتأثر فحري بنا نحن كذلك.

تفاعل النبي عليه الصلاة والسلام وزيادة الإنفاق في رمضان عند سماع القرآن:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة^(١٤).

المبحث الثاني

تفاعل الملائكة مع آيات القرآن

تفاعل الملائكة مع القرآن:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في
مربده^(١٥) إذ جالت فرسه، فقراً، ثم جالت
أخرى، فقراً، ثم جالت أيضاً، قال أسيد:
فخشيت أن تطأ يحيى - ابنه - فقامت إليها،
فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج،
عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت

على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدى إذا جالت فرسي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ ابن حضير، قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ ابن حضير، قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ ابن حضير، قال: فأنصرفت وكان يحيى قريباً منها، فخشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو، حتى ما أراها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم (١٦).

وفي حديث آخر عن البراء رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط، فتغشته سحابة، فجعلت تدور، وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن^(١٧)

المبحث الثالث

تفاعل الصحابة مع آيات القرآن

تفاعل الصحابة وبكاؤهم عند قراءة وسماع القرآن:
كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا صلى بالناس لا يسمع لشدة بكائه وحزنه، وقد أشارت إلى ذلك عائشة رضي الله عنها عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته: (امروا أبا بكر ليصلي بالناس)،

شهوهم الماء، وقد قال الله عز وجل: (أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) ^(٢٥) (٢٦).

قال أبو هريرة لما نزل قوله جل وعلا: (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ × وَتَضَحَّكُونَ وَلَا تَبْكُونَ) ^(٢٧)، قال أهل الصفة: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بكاءهم بكى معهم، فبكينا لبكائه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يلج النار من بكى من خشية الله) ^(٢٨).

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه أنه قال: لما نزل قوله جل وعلا: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) ^(٢٩)، بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَارُبُوا وَاسْدُبُوا فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النُّكْبَةِ يُنْكَبُهَا أَوْ الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا).

تفاعل الصحابة مع آيات القرض والإنفاق:

أولاً: في التفاعل مع آيات القرض:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت الآيات من قوله جل وعلا: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ^(٣٠). قال أبو الدرداء الصحابي الجليل: يا رسول الله إن الله يريد منا القرض؟ قال: (نعم يا أبا الدرداء)، قال: أرني يدك، فناوله صلى الله عليه وسلم يده، فقال: قد أقرضت ربي حائطي ^(٣١)، وحائطه فيه ستمائة نخلة،

فقال عائشة: (إن أبا بكر إذا قام مقامك لا يستطيع أن يسمع الناس من البكاء) ^(٣٢).

وعن عبد الله بن شداد قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف، فسمعت نشيجه وإني لفي آخر الصفوف، وهو يقرأ: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) ^(٣٣).

وعن عبد الله بن عيسى قال: كان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء، وفي رواية: خطان مثل الشراك ^(٣٤) من البكاء. وكان يمر بالآية من ورده بالليل، فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت يُعاد للمرض.

من لم يبت والخوف حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد ^(٣٥)

ولقد كان ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا دخل صومعته، وقام بين يدي الله جل وعلا صار من كثرة البكاء كالعصفور المبلل بماء المطر، فلقد كان كأبيه عظيم الخشية من الله، شديد المراقبة له في السر والعلانية.

وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) ^(٣٦)، بكى حتى يغلبه البكاء ^(٣٧).

وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما شرب ماء مبرداً، فبكى فاشتد بكاءه، فقيل: ما يبكيك؟ فقال ذكرت آية في كتاب الله - عز وجل - (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) ^(٣٨)، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً،

مِمَّا تُحِبُّونَ) (٣٤)

قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)، وَإِنْ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَى بَيْرِخَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بَرَّهَا وَذَخَرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَخِ ذَاكَ مَالٍ رَاحٍ ذَاكَ مَالٍ رَاحٍ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ (٣٥)

وكذلك فعل زيد بن حارثة، عمد مما يحب إلى فارس يقال له (سبل) وقال: اللهم إنيك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلي من فرسي هذه، فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هذا في سبيل الله. فقال لأسامة بن زيد (اقبضه). فكان زيدا وجد من ذلك في نفسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد قبضها منك) (٣٦)

وعن مجاهد قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولا (٣٧) يوم فتح مدائن كسرى، فقال سعد بن أبي وقاص: فدعا بها عمر فأعجبته، فقال إن الله عز وجل يقول: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» فَأَعْتَقَهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٨)

وكان عبد الله بن عمر إذا أحب شيئا أنفق، وكان قد أعتق مولاة نافعا، وقد أعطاه فيه

ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها، فنادها: يا أم الدحداح! قالت: لبيك! قال: أخرجني! قد أقرضت ربي حائطا فيه ستمائة نخلة (٣٩).

وفي رواية: قال النبي عليه الصلاة والسلام: كم من عزق رداح لأبي الدحداح في الجنة. وفي رواية: ربح البيح. وفي رواية أن زوجته عندما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم (٤٠).

وعندما كنت جالسا أُملي طابع الحاسوب وذكرت له هذه الرواية (عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم)، قال أحد الجالسين: (بالغت والله)، فقلت له: لو كان هذا الصحابي الجليل في زمننا لرفعت زوجته دعوى بالحجر على أمواله، وقالت: يريد أن يضيّعنا. وإن شئت قلت: (الرجل خرف - بعامية أهل السودان - تأثر عقله لكبره)، ولكن هذه الصحابية الجليلة أعانت زوجها على هذه القربة، وهذا ما ينبغي لكل زوجة مسلم أن تفعله، فتعينه على الطاعة وتمنعه عن المعصية.

ثانياً: في التفاعل مع آيات الإنفاق:

كَانَ أَبُو طَلْحَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرِخَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٌ قَالَ أَنَسُ فَلَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا

تنبيه:

يقول علماء المالكية في باب الحجر: إن من السفة تبذير الأموال في لذة وشهوة حلال، وقد نظمها صاحب أسهل المسالك في قوله^(١٢):

والسفة التبذير للأموال
في لذة وشهوة حلال

يرحم الله علماء المالكية، لو رأوا أهل زماننا الذين يبذرون الأموال في اللذات والشهوات ودخول المباريات، ومن المسلمين من يتلقى الإعانات من المنظمات الأجنبية في داخل المعسكرات والمخيمات!!

تفاعل الصحابة مع آيات الجهاد والحث على القتال:

عن أبي راشد الحبراني قال: وافيت المقداد فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمص، وهو في مقدمة الجيش يريد الغزوة، فقلت: قد أعذر الله إليك، أي قد سقط عنك الجهاد بعد ثقل بدنك، ورخص لك في تركه، فقال المقداد: أبت علينا سورة البحوث^(١٣) هي سورة التوبة، ثم قال: يقول الله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا)^(١٤) لم تدع لنا عذراً. ولما جهز معاوية رضي الله عنه جيشاً بقيادة ابنه يزيد لفتح القسطنطينية كان الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه آنذاك شيخاً طاعناً في السن، يحبو نحو الثمانين من عمره، ولم يمنعه ذلك عن لقاء العدو، وكان يقول: وبقراً قوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا)^(١٥).

هؤلاء الصحابة الأفاضل والشيوخ الأكارم

عبد الله بن جعفر ألف دينار^(١٦) وذلك كله تصديقاً لقوله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ). وروي أن ابن عمر قرأ هذه الآية، فقال: لم أجد شيئاً أحب إلي من مرجانة، جارية لي رومية، فقلت: هي حرة لوجه الله، فلولا أنني لا أعود في شيء جعلته لله لتزوجتها^(١٧).

هذا حال الصحابة مع آيات الإنفاق مع قلة ذات اليد، فكيف حال أصحاب الأموال والثروات من المسلمين في حياتنا وواقعنا؟ فإنهم يبذلون الأموال الطائلة في بناء ميادين كرة القدم وتسجيل اللاعبين، وفقراء المسلمين يتسولون، والبعض منهم مشردون يفتشون الأرض ويلتحفون السماء، ومنهم من يعيشون في المعسكرات والمخيمات، وينتظرون الطعام من المنظمات التي تحمل السم في الدسم وتحمل الأجندة الخفية لتهويد المسلمين وتنصيرهم.

ومعلوم أن كل بؤر الصراعات والنزاعات ومناطق الفقر في العالم في الغالب هي في مناطق المسلمين، ولا يخفى على أحد من الناس أن كل هذه المشاكل يمكن حلها مالياً، إذا جاد الأكرمون بمالهم، وتركوا لذاتهم وشهواتهم، وشعروا بإخوانهم من المسلمين، وتحملوا كافة مسئولياتهم الشرعية والدينية التي كلفهم الله بها، لأنهم مستخلفين على هذه الأموال. يقول تعالى: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ)^(١٨).

أَعْقَابُكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ^(٤٦).

قال ابن عباس: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر. فتلقاها منه الناس كلهم فما سمع بشر من الناس إلا يتلوها، قال عمر: والله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، حتى أهويت إلى الأرض، حين سمعته تلاها علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات^(٤٧).

هذا هو حال القرآن، فإنه سيب لحل جميع المشكلات، ومعالجة كل الأزمات التي تواجه الأمة، إذا تمسك الناس بكتاب ربهم، واستحضروا معانيه، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنة رسوله)^(٤٨).

تفاعل عمر بن الخطاب وانتفاعه بالموعظة من كتاب الله:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحَرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ الْفَرِّ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذَنَ لِي عَلَيْهِ قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ الْحَرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيَ يَا ابْنَ

رضي الله عنهم كبرت سنهم وبلغت الثمانين ومع هذا فإن آيات الجهاد مستقرة في نفوسهم، وكأنها البلم الذي يشفي الأسقام ويداوي الأجسام، والوقود الذي يحركهم فيتفاعلون مع هذه الآيات وينسون ما بهم من ثقل الأبدان، فيتسابقون إلى الجهاد كأنهم حديثو الأسنان.

تفاعل الصديق رضي الله عنه مع آيات القرآن واستحضاره له في أحلك المواقف:

لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون، فممنهم من أقعد فلم يطق القيام، وممنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، وممنهم من أنكر موته بالكلية، فقال: إنما بعث إليه، وفي هذه اللحظات أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ونزل من على فرسه، ودخل المسجد، ولم يكلم أحداً، ثم قصد النبي عليه الصلاة والسلام، وهو مغطى بثوبه، فيكشف الثوب عن وجهه، ثم انكب عليه، فقبله، وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة الأولى التي كتبت عليك فقد متها، ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فتشهد أبو بكر، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر رضي الله، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إنني لرجل لبيب، وشاعر، وما يخفى علي الحسن من القبيح وما يمنعي من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإذا كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإذا كان قبيحاً تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته تبعته، فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك، حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض علي أمرك. قال: فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا علي القرآن، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق^(٥١)

تفاعل الصحابي عباد بن بشر - رضي الله عنه - مع آيات القرآن:

عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب رجل امرأة من المشركين، فحلف لا أنتهي حتى أهريق دماً في أصحاب محمد، فخرج يتبع أثر النبي عليه الصلاة والسلام، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: (هل رجل يكلاً؟)، فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كونا بفم الشعب، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب اضجع المهاجري وقام الأنصاري، فصلى وهو عباد بن بشر،

الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحرّ يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین)، وإن هذا من الجاهلین والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله.

وهكذا المسلم، إذا ذكر بآيات الله وما فيها من الوعد والوعيد امتثل وخضع لأمر الله جل وعلا، كما فعل عمر، فقد هم أن يقع بالرجل، ولكنه عندما سمع هذه الموعظة من هذا الصحابي الجليل بأن يعرض عن الجاهلین وقف عندما أرشد الله جل وعلا إلى ذلك^(٥٢)

تفاعل الصحابي الطفيل بن عمرو - رضي الله عنه - وإسلامه عند سماع آيات القرآن:

كان الطفيل يحدث أنه قدم مكة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجال من قريش، وقالوا له: يا طفيل إنك قدمت لنا وهذا الرجل يفرق جماعتنا، وإن قوله لسحر، فلا تستمع له، وإنا نخشى عليك وقومك منه، فلا تكلمه ولا تسمع منه، قال: حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى خشيت في أذني حين قدمت إلى المسجد كرسفاً^(٥٣) - أي قطناً - خوفاً من أن يبلغني شيئاً من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمته منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني قوله، فسمعت كلاماً

لتسبقني فسبقته^(٥٥).

وذكر الإمام القرطبي أنه لما نزل قوله تعالى: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ)^(٥٦)، أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يبني جداراً، فمر به آخر في يوم نزول هذه السورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ما نزل اليوم من القرآن؟ فقال الآخر: نزل قوله جل وعلا: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ)، فنفض يده من البنيان، فقال لا بنيت أبداً، وقد اقترب الحساب^(٥٧).

يا سبحان الله إنما نسمع الآيات، في الصباح والأمسيات، ونبني العمارات، و نركب السيارات، ونسينا ما بعد الممات.

تفاعل التجار والعمال من الصحابة والسلف الصالح مع آيات القرآن:

حكى أصحاب التفاسير في قوله جل وعلا: (رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) أن رجلين كانا في عهد النبي عليه الصلاة والسلام أحدهما باعاً، فإذا سمع النداء للصلاة، فإن كان الميزان بيده طرحه، ولا يضعه وضعاً، وإن كان بالأرض لم يرفعه، وكان الآخر قيناً، يعمل السيوف للتجارة، فكان إذا كانت مطرقته على السندان أبقاها موضوعة، وإن كان قد رفعها ألقاها من وراء ظهره إذا سمع الأذان، فأنزل الله تعالى: (رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)، ثناءً عليهما وعلى كل من اقتدى بهما^(٥٨).

روى القرطبي أن ابن عمر كان في السوق

فأتى الرجل، فلما رأى شخصه عرف أنه من الطليعة التي تحرس القوم، فرماه بسهم، فوضعه فيه فنزعه حتى رماد بثلاثة أسهم، ثم ركع وسجد، ثم انتبه صاحبه، فلما عرف أنهم قد علموا به هرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري، قال: سبحان الله، ألا أنبهتني أول ما رمى؟ قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها^(٥٩).

قال وفي دلائل النبوة: فنام عمار بن يسار وقام عباد بن بشر يصلي، وقال: كنت أصلي بسورة وهي الكهف فلم أحب أن أقطعها^(٦٠).
لقد عاش هذا الصحابي الجليل مع هذه الآيات بكل حواسه وجوارحه، والسهام تسقط عليه، وهو لا يحرك ساكناً، بل هو يعيش مع سورة ولا يريد أن يقطعها.

يا سبحان الله! الرجل منا يقرأ القرآن وهو في الصلاة، فيتحرك لأدنى شيء، يشوش عليه، كالذبذب وغيره، ويصلح ثوبه أحياناً ويعبث بحليته أحياناً أخرى، وإذا انتهت الصلاة وسئل ماذا قرأ الإمام؟ قال: لا أدري!

تفاعل الصحابة مع آيات القرآن والخوف من الآخرة:

قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ)^(٦١)، وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وخافوا، فنزلت: (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)، فاطمأنوا، فقال النبي عليه السلام: (بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بإصبعه السبابة والتي تليها، يقول: إن كانت

فأقيمت الصلاة، فأغلق الناس حوانيتهم [دكاكينهم] ودخلوا المسجد، قال ابن عمر: فيهم نزلت (رَجَالٌ لَا تُلْهِبُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) ^(٩٩).

قلت: فهل امتثل التجار والعمال والموظفون في أماكن عملهم واستجابوا لداعي الله ولتعمير بيوت الله بالصلوات إذا نادى المنادي حي على الصلاة، واقتدوا بأسلافهم الأوائل الذين اقتدوا بالنبي عليه الصلاة والسلام، قالت عائشة: (كان النبي عليه الصلاة والسلام يكون في خدمة أهله فإذا نودي للصلاة خرج إلى الصلاة) ^(١٠٠).

وروي عنها أيضاً أنها قالت: (كان النبي يحدثنا ونحدثه صلى الله عليه وسلم، فإذا حضرت فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه). وفي رواية: (إذا سمع الأذان فكأنه لا يعرف أحداً من الناس) ^(١٠١).

بل إنه صلى الله عليه وسلم في مرض موته خرج إلى الصلاة عاصباً رأسه، يتهاذى بين رجلين، وكان أبو بكر يصلي بالناس، فأجلساه إلى جنبه فصلى قاعداً ^(١٠٢).

ولقد حرص الصحابة على ذلك وداوموا على أداء الصلاة في جماعة، والذهاب إليها عند سماع الأذان، وترك ما بأيديهم من أشغال وأعمال، لا يتخلف عنها أحد إلا منافق؛ لأنها كانت عندهم تمثل شعار الإسلام وسنة خير الأنعام. يقول عبد الله بن مسعود: (مَنْ سَرَهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ

لنبيكم صلى الله عليه وسلم سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحَسِّنُ الطَّهَوْرَ ثُمَّ يَعْمُدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحْطُ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهْدَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ) ^(١٠٣).

وإن مما يرثى له من حال المسلمين اليوم تقصيرهم في فهم هذا الدين بتعميرهم المساجد بالصلوات في أوقات المناسبات الدينية كالجمع ورمضان، فإذا انتهت المناسبة تركت الفرائض وعطلت المساجد وهجر القرآن، فلا يعودون إلى ذلك إلا في مناسبات دينية أخرى، وهذا مع ما فيه من الإثم والحرام، فيه أيضاً تشبه بأهل الكتاب المغضوب عليهم والضالين الذي لا يعرفون الله إلا في المناسبات الدينية، فليحذر المسلم من سلوك مسلك أهل الكتاب ^(١٠٤).

وإن مما يؤسف له أن من الناس من يؤخر الصلاة بحجة أن وقتها واسع، وإن من العمال من يؤخرون صلاة الظهر والعصر إلى الليل معللين ذلك بأنهم مشغولون بأعمالهم أو بأن العمل عبادة، بل الصحيح من أقوال العلماء أن العمل ليس عذراً في تأخيرها، وعلى العامل إذا حان وقت الصلاة أن يتفرغ

نساء المهاجرات الأول في الحديث الأول ونساء الأنصار في الحديث الثاني، لأن نساء الأنصار بادرن إلى ذلك^(٧١).

قصة لطيفة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أدخل البيت الذي دُفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي، فأضع ثيابي، فأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دُفن عمر معهما ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه)^(٧٢).

قصة لطيفة أيضاً:

عندما مرضت فاطمة رضي الله عنها كانت تستحي وتستقبح من أن يرى جسدها الرجال وهي ميتة، عندما يصلون عليها، فاشتكت في ذلك إلى أسماء بنت عميس فقالت: استتريني. حكى ذلك الإمام الذهبي في السير، فقال: إن فاطمة قالت لأسماء بنت عميس إنني لأستحي أن أخرج غداً على الرجال - أي ميتة - من خلال جسمي، فإني استقبح ما يُصنع بالنساء يطرح على المرأة الثوب فيضع عليها، فيتجسم جسدها. فقالت لها أسماء: أريك شيئاً رأيته بالحبشة، فدعت بجريد رطبة، فحنتها، ثم طرحت عليها ثوباً. وفي رواية قالت: أولاً نصنع لك شيئاً رأيته بالحبشة، فصنعت الحبشة، فقال: سترك الله كما سترتيني^(٧٣).

قلت: وسورة النور هذه تُدرس للطالبات في الثانويات، ومع هذا فإن الأسواق والساحات تعج بالمعرجات، وكأن هذه الآيات لم تنزل

لأدائها، لأن أوقات الصلاة يجب أن تستثنى من العمل.

تفاعل الصحابيات مع الآيات الأمرة بالستر والحجاب:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ)، خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ الْغُرَبَانَ مِنَ الْأَكْسِيَةِ^(٧٤).
وَبَخَلَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى حَفْصَةَ خَمَارٌ رَقِيقٌ فَشَقَّتْهُ عَائِشَةُ وَكَسَتْهَا خَمَارًا كَثِيفًا^(٧٥).

ثم قالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ (وَلِيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)^(٧٦)، وفي قول عائشة رضي الله عنها أن من تسترت بثوب شفاف أنها لم تستتر ولم تأتمر وتستجب لقوله جل وعلا في سورة النور المشار إليها: (وَلِيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)^(٧٧).

قالت عائشة: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله (وَلِيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)، شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَأَخْتَمَرْنَ بِهَا^(٧٨).
وفي رواية أن عائشة قالت: ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت (وَلِيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان^(٧٩).

قال ابن حجر: الجمع بين الروايتين، أي

صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه الآية فترك الحمية وانقاد لأمر الله تعالى^(٧٦)

وأخرجه أيضا الدارقطني عن الحسن قال: حدثني معقل بن يسار قال: كانت لي أخت فخطبت إلى فكنيت أمنعها الناس، فأتى ابن عم لي فخطبها فأنكحتها إياه، فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا رجعيًا ثم تركها حتى انقضت عدتها فخطبها مع الخطاب، فقلت: منعتها الناس وزوجتك إياها ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت إلى أتيتني تخطبها مع الخطاب! لا أزورك أبدا! فأنزل الله، أو قال أنزلت: «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن» فكفرت عن يميني وأنكحتها إياه^{(٧٧)(٧٨)}.

قوله (ترك الحمية) أي ترك ما كان مغتاضا منه، واستنقاد لأمر الله، أي أطاع وامتثل^(٧٩)

تفاعل الصحابة - رضي الله عنهم - مع الآيات الناهية عن الخمر:

ولما أنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) × إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ^(٨٠) قال أنس بن مالك: فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانا وفلانا إذ جاء رجل فقال وهل بلغكم الخبر فقالوا وما ذاك قال حرمت الخمر قالوا

على المسلمات في هذا العصر، وإنما نزلت على الصحابييات فقط. فهلا كنا مثل الجيل الأول في الاستجابة لآيات القرآن الكريم والتفاعل مع آيات الستر والحجاب؟

فعلينا أن نتأسى بالصحابييات الأبرار كعائشة وفاطمة رضي الله عنهما، فهم القدوة في الستر والعفاف بدلا من التأسى بعارضات الأزياء، وتجار الرذيلة الذين يريدون أن يتاجروا بجسد المرأة.

تفاعل الصحابة - رضي الله عنهم - مع الآيات الناهية عن عضل الزوجة:

ذكر القرطبي في قوله تعالى: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ^(٧٤) أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ زَكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٧٥)) روى أن معقل بن يسار كانت أخته تحت أبي البداح فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها، ثم ندم فخطبها فرضيت وأبى أخوها أن يزوجها وقال: وجهى من وجهك حرام إن تزوجتيه. فنزلت الآية.

وروى البخاري عن الحسن أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل فنزلت: «فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن».

وفي رواية للبخاري أيضا: «فحمى معقل من ذلك أنفا، وقال: خلى عنها وهو يقدر عليها ثم يخطبها! فأنزل الله الآية، فدعاه رسول الله

إذا حدث النبي بحديث حدثه كأخي السرار،
لم يسمعه حتى يستفهمه^(٨٦).

وفي رواية أن أبا بكر رضي الله عنه لما
نزلت هذه الآية (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ
صَوْتِ النَّبِيِّ)، قال يا رسول الله أليت ألا أكلّمك
إلا كأخ السرار، أي الذي يريد أن يتحدث مع
أخيه بكلام سر لا يريد أن يسمعه أحد.

وفي رواية قال أبو بكر الصديق رضي
الله عنه: والذي أنزل عليك الكتاب بالحق يا
رسول الله لا أكلّمك إلا كأخ السرار حتى ألقى
الله عز وجل.

وفي رواية: والله لا أرفع صوتي إلا كأخ
السرار^(٨٧).

تفاعل الصحابة - رضي الله عنهم - مع الآيات
الناهية عن الحلف على عدم الإنفاق على الأقارب
رغم أذيتهم:

كان أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنْفِقُ
عَلَى مِسْطَحَ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ، فَحَلَفَ أَلَّا يَنْفِقَ
عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ خَاضَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، فَقَالَ:
وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ شَيْئًا أَبَدًا، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ
وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا... إِلَى قَوْلِهِ غُفُورٌ رَحِيمٌ)،
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفَرَ
اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحَ النِّفَقَةِ الَّتِي كَانَ
يَنْفِقُ عَلَيْهِ^(٨٨)، وفي رواية: قال أبو بكر: بلى
يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد بما كان
يصنع^(٨٩).

وينبغي على المسلم ألا يترك النفقة على

أَهْرَقَ هَذِهِ الْقَلَالَ يَا أَنَسُ قَالَ فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا
وَلَا رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ^(٨١).

وفي رواية: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ
سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ وَكَانَ خَمْرُهُمْ
يَوْمَئِذٍ الْفَضِيخَ^(٨٢)، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ
حُرِّمَتْ قَالَ فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ أَخْرُجْ فَأَهْرَقَهَا
فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا فَجَرَّتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ^(٨٣).

قال القرطبي: (لما نزلت «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»
قال عمر بن الخطاب: انتهينا انتهينا، وأمر
النبي صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادي
في سلك المدينة، ألا إن الخمر قد حرمت،
فكسرت الدنان، وأريقتم الخمر حتى جرت في
سلك المدينة)^(٨٤).

وفي هذا دلالة أن الصحابة أسرع الناس
اجتناباً للنواهي. بدليل قول أنس رضي الله
عنه: [فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلَا رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ
الرَّجُلِ]. فهلا اقتدينا بهم في اجتناب النواهي
التي تصدر من الشارع الحكيم؟

تفاعل الصحابة - رضي الله عنهم - مع
الآيات الناهية عن رفع الصوت أمام النبي
صلى الله عليه وسلم:

لما نزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا
تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ
تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)^(٨٥)، قال ابن
الزبير: فما كان عمر بن الخطاب يسمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه.

وفي رواية أخرى، وكان عمر بن الخطاب

أحدا « فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ»^(٩١).

قال أبو بكر الجزائري: في هذه الآيات تعريض بسخف البشر الذين عاش بينهم النبي صلى الله عليه وسلم أحد عشر سنة يقرأ عليهم القرآن بمكة، وهم مكذبون به كارهون له، مصرين على الشرك، والجن بمجرد أن سمعوا آيات الله آمنوا به وحملوا رسالته إلى قومهم^(٩٢).

قلت: يا عجباً لكثير من الناس، فإن منهم من يسمع كلام الله مراراً وتكراراً ولا يحرك فيه ساكناً، والجن تسمعه لأول مرة وتؤمن به وتدعوا إلى عقيدة التوحيد وعدم الإشراك بالله تعالى!

المبحث الخامس

تفاعل النباتات والجمادات مع آيات القرآن
تفاعل النباتات (الشجر) مع آيات القرآن:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أَصْلِي خَلْفَ شَجَرَةٍ فَسَجَدْتُ فَسَجَدْتُ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي فَسَمِعَتْهَا وَهِيَ تَقُولُ اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذَخْرًا وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ قَالَ الْحَسَنُ قَالَ لِي ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ لِي جَدُّكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجْدَةً ثُمَّ سَجَدَ قَالَ فَقَالَ

أقاربه بسبب ما يصله من بعض الإساءات أو نكران الجميل، فالذي ينبغي أن يكون بين الأقارب هو الحب والتألف، لا البغض والتخالف، وما يشاع على ألسنة الناس أن الأقارب عقارب، فلا أصل له شرعاً. بل هو مخالف لنصوص الشرع، لقوله جل وعلا: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)^(٩٣).

المبحث الرابع

تفاعل الجن مع آيات القرآن

تفاعل الجن مع آيات الله سبحانه وتعالى: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب! قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، فمر نفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا «إنا سمعنا قرأنا عجباً».

يهدي إلى الرشd فآمنوا به ولن نشرك بربنا

ابْنُ عَبَّاسٍ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ^(١٣)

وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رأيت في ما يرى النائم كأنني تحت شجرة وكأن الشجرة تقرأ سورة (ص)، فلما أتت على السجدة سجدت، فقالت في سجودها: اللهم أغفر لي بها، اللهم حط بها عني وزراً، وأحدث لي بها شكراً، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدة، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال صلى الله عليه وسلم: (سجدت يا أبا سعيد)، قلت: لا، فقال: (فأنت أحق بالسجود من الشجرة)، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص، ثم أتى على السجدة فسجد، وقال في سجوده ما قالت الشجرة في سجودها^(١٤)

تفاعل الجمادات (الجبال):

يقول الإمام القرطبي: في قوله تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)^(١٥) يقول رحمه الله تعالى: في هذه الآية حث على تأمل مواضع القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواضعه، ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشقة من خشية الله.

وقوله: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)، أي لو أنه أنزل هذا القرآن

على جبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده، وأنتم أيها المبهرون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون في وعيده؟ وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، أي لو أنزل هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له، فيكون ذلك امتناناً عليه، أن ثبت له لا تثبت له الجبال، وقيل: إنه خطاب للأمة، وأن الله تعالى لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله، والإنسان أقل قوة، وأكثر ثباتاً، فهو يقوم بحقه إن أطاع، ويقدر على رده إن عصى، لأنه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب^(١٦).

يقول أبو بكر الجزائري في أيسر التفاسير: في هذه الآيات موعظة للمؤمنين ليتدبروا القرآن ويخشعوا عند تلاوته وسماعه، ثم أخبر تعالى أن ما ضرب من أمثال في القرآن، ومنها هذا المثل المضروب بالجبل، يقول نجعلها للناس رجاء أن يتفكروا فيؤمنوا ويهتدوا إلى طريق سعادتهم وكمالهم^(١٧).

المبحث السادس

تفاعل المشركين مع آيات القرآن

أولاً: تفاعل اليهود مع آيات الله جل وعلا: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا قَالَ أَيُّ آيَةٍ قَالَ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

المهاجرين من المسلمين إلى قومهم^(٩٩)

ثالثاً: تفاعل كفار قريش عند سماعهم القرآن:

ذكر أصحاب السير أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخل البيت الحرام ويصلي ويقرأ سورة النجم، فلما وصل إلى قوله تعالى: (أَزِفَتِ الْأَزْفَةُ)^(١٠٠)، سجد النبي عليه الصلاة والسلام، وسجد معه أصحابه رضي الله عنه، وسجد المشركون خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فظن من رآهم أن قريشاً قد أسلمت^(١٠١).

وفي رواية ذكرها البخاري وغيره: أنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحرم، وفيه جمع كبير من قريش، فيه ساداتهم وكبرأؤهم، فقام فيهم، وفاجأهم بتلاوة سورة النجم، ولم يكن أولئك الكفار سمعوا كلام الله من قبل؛ لأنهم كانوا مستمرين على ما تواصى به بعضهم بعضاً من قولهم (لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ)^(١٠٢)، فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة، وقرع أذانهم كلام إلهي خلاب، وكان أروع كلام سمعوه قط، أخذ مشاعرهم، ونسوا ما كانوا فيه فما من أحد إلا وهو مصغ إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، ثم قرأ: (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا)^(١٠٣)، ثم سجد، لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجداً. وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن يخروا لله

دينياً)، قَالَ عُمَرُ قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ^(٩٨).

اليهود عرفوا عظمة هذه الآية وما فيها من النعم على هذه الأمة بإكمال الدين، وللأسف فإن حال بعض المسلمين، لا يعرفون هذه النعمة فتجدهم يشرعون ويبتدعون في دين الله ما لم يرد به كتاب ولا سنة.

ثانياً: تفاعل النصارى مع آيات الله جل وعلا:

عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، (النجاشي) أمنا على ديننا، وعبدنا الله وحده، لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فأرسلت قريش في طلبنا إلى النجاشي، وحمل الرسل الهدايا له، ولبطارفته، وكلهمهم الرسولان، بأن يردهم ويسلمهم إلى قومهم، فدعا النجاشي المهاجرين ليسألهم وحوله أساقفته، نشروا مصاحفهم، فقام عنهم جعفر بن أبي طالب خطيباً، وذكر أمر جاهليتهم، وأنه صلى الله عليه وسلم أرسله الله جل وعلا وأمرهم بكل خير، ونهاهم عن كل شر، فاتبعوه، لكن قومهم ضيقوا عليه، ثم قرأ جعفر بن أبي طالب على النجاشي صدى من سورة (مريم)، فبكوا والله النجاشي، حتى اخضل لحيته، وبكت أساقفته، حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. وأبى أن يسلم

ساجدين^(١٠٤)

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً واللّه ما سمعت مثله قط، واللّه ما هو بالشعر ولا بالسحر وبالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني وأجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزمكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك واللّه يا أبو الوليد بلسانه، قال: هذا رأي فيه، فأصنعوا ما بدا لكم^(١٠٥) وفي رواية جاء إلى قريش وقال واللّه ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ما يشبه هذا شيئاً من الشعر، ولا كلام الجن، واللّه إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله مغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. وفي رواية عن عكرمة عن ابن عباس قال: إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فقرأ عليه القرآن، فكانه رقد له، أي خدع له^(١٠٦)

فائدة:

وهذه الواقعة مع ما فيها من تفاعل الوليد بن المغيرة مع هذه الآيات، إلا أنها تكشف لنا فائدة أخرى نحتاج إليها في أيامنا هذه، وهي أدب الحوار مع المخالف والاستماع

ذكر أصحاب السير والمغازي أن الملاء من قريش قد التبس عليهم أمر محمداً صلى الله عليه وسلم، فقالوا: نلتمس رجلاً عالماً بالكهانة والسحر، فيكلمه، فقال عتبة بن ربيعة: أنا أفعل ذلك، قال: فأتيته، فقال: يا محمد أنت خير أم قصي بن كلاب؟ أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فلم تشتم ألهتنا وتضلل آبائنا وتسفه أحلامنا وتذم ديننا؟ فإن كنت إنما تريد الرئاسة عقدنا لك ألويتنا، فكنت رئيساً ما بقيت، وإن كنت تريد الباءة زوجناك عشر نساء من أي بنات قريش شئت، وإن كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً من الجن قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب ما تتداوى به، أو نغلب فيك، والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت. فلما فرغ قال: (فرغت يا أبا الوليد؟) فقال: نعم، فقال: (يا ابن أخي اسمع، بسم الله الرحمن الرحيم × حم × تَنْزِيلُ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ × كِتَابُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ × بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ × وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ)، ثم مضى رسول الله فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره متعمداً عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك).

- ط ١، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٦) سورة الجمعة، الآية ٥.
- (٧) ماحل بكسر الحاء المهملة بمعنى ساع، وقيل: خصم مجادل. ذكره المنذري في الترغيب والترهيب: ١٥٧/٢-١٥٨، ط ١، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م، مكتبة الصفا، دار البيات الحديثة للطباعة، القاهرة.
- (٨) صحيح ابن حبان، ٣٣١/١، والمنذري في الترغيب، مرجع سابق، ٢١٠٦/٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٩/٢٠.
- (٩) سورة النساء، الآية ٤١.
- (١٠) صحيح البخاري، باب قول المقرئ للقاري حسبك، حديث رقم ٤٧٤/١٥، ٥٥٠.
- (١١) سورة آل عمران، الآية ١٩٠.
- (١٢) تفسير القرطبي، ٣١٠/٤.
- (١٣) رواه ابن حبان في صحيحه، ٣٨٦/٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم ٦٨، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب، حديث رقم ٢١٦٧.
- (١٤) صحيح البخاري، فضائل القرآن، حديث رقم ٤٩٩٧.
- (١٥) مرید: موضع التمر، أي المكان الذي يوضع فيه التمر. المصباح المنير، للفيومي، ص ١٣١.
- (١٦) صحيح مسلم، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، ٢١٥/٤، حديث رقم ١٣٢٧.
- (١٧) صحيح مسلم، ٧٩٩.
- (١٨) البخاري، ٦٧٩، ومسلم ٤١٨ كتاب الصلاة.
- (١٩) سورة يوسف، الآية ٨٦.
- (٢٠) الشراك: سير النعل. تهذيب اللغة، الأزهرى، ٣١٦/٣.
- (٢١) سور ومواقف، رجال ونساء حول الرسول، جمع وترتيب هاني الحاج، ص ٣٣.
- (٢٢) سورة الحديد، الآية ١٦.
- (٢٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية الأولياء، ٣٠٥/١، قال الأرنؤوط: رجاله ثقات.
- (٢٤) سورة سبأ، الآية ٥٤.
- (٢٥) سورة الأعراف، الآية ٥٠.
- (٢٦) صفة الصفوة، ٢٤١/١.
- (٢٧) سورة النجم، الأيتان ٥٩-٦٠.
- (٢٨) تفسير القرطبي، ٨٠/١٧.
- (٢٩) سورة النساء، الآية ١٢٣.

إليه، وتحمل كلماته، وإن كان فيها من الغلظة والشدّة ما فيها، مع امتصاص غضبه، والتلطف معه في القول، ثم إقناعه بالحجة والبرهان، فما أوجنا إلى هذا الخلق النبوي الكريم في إدارة الحوار مع الغير بمختلف مكوناته سواء كان حواراً مع الدول أو مع الأفراد، بدلاً من تبادل الشتائم والسباب والانتهاكات التي لا تقضي إلا إلى مزيد من الشقاق والجفوة والفرقة.

وفي ختام هذا البحث فعلى المسلم الذي يقرأ القرآن أن يعيش معه بكل جوارحه وأحاسيسه، وأن يتجاوب مع آياته ويتفاعل مع نصوصه ويمتثل لأوامره ويتجنب نواهيه، فيزداد إيمانه، يقول الله جل وعلا: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) (١٠٧)، ويطمئن قلبه، قال تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (١٠٨)، فتحصل له سعادة الدارين.

(هوامش):

- (١) سورة محمد، الآية ٢٤.
- (٢) سورة الفرقان، الآية ٣٠.
- (٣) ابن كثير، ٣٤٨/٢.
- (٤) سورة البقرة، الآية ٧٨.
- (٥) الإيماني: جمع أمنيّة وهي التلاوة، ومنه قوله تعالى: (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) (سورة الحج، الآية ٥٢)، أي إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، وقال كعب بن مالك:

تمنى كتاب الله أول ليلة ××× وأخره لاقى حمام المقابر

وقال آخر:

تمنى كتاب الله آخر ليلة ××× تمنى داود الزبور على رسل

تفسير القرطبي، ٦/٢، تحقيق سالم بن مصطفى البديري،

- (٣٠) سورة البقرة، الآية ٢٤٥.
- (٣١) الحائط: الحديقة والبستان. وكل بستان عليه حائط فهو حديقة وما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة. تهنيز اللغة، للأزهري، ٤٥١/١.
- (٣٢) أحمد في المسند، ٦٤٠/٣، والطبراني في الكبير، ٢٤٢/٢-٢٤٣، والهيثمي في مجمع الزوائد، وقال رجاله ثقات ورجاله رجال الصحيح. ٣٩٧/٩-٣٩٨، حديث رقم ١٥٧٩٢.
- (٣٣) كتاب صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٣٠٩/١، وكتاب فضائل الصحابة للعدوي، ص ٣٢٢، وصور ومواقف رجال ونساء حول الرسول، ص ١٦١.
- (٣٤) سورة آل عمران، الآية ٩٢.
- (٣٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٥٥٤، ٣٠٤/٥، ومسلم كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقرين، حديث رقم ٩٩٨.
- (٣٦) تفسير الطبري، ٥٩٢/٦، تفسير القرطبي، ٨٦/٤.
- (٣٧) هي منطقة على طريق خراسان، كان بها الواقعة المشهورة بين الفرس والمسلمين سنة ١٦، فاستباحهم المسلمون فسميت جلواء الواقعة لما أوقع بهم المسلمون كثرة القتل. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٩/٢.
- (٣٨) تفسير الطبري، ٥٨٨/٦، تفسير القرطبي، ٨٦/٤.
- (٣٩) تفسير القرطبي، ٨٦/٤.
- (٤٠) فتح الباري، ٨٢/٨.
- (٤١) سورة الحديد، الآية ٧.
- (٤٢) سراج السالك شرح أسهل المسالك، ص ٤١٠، ط ٢٠٠٤م، السيد محمد حسين الجعلي السوداني، دار صادر، بيروت. مع العلم أن نظم أسهل المسالك للشيخ محمد البشار، والشرح للشيخ الجعلي.
- (٤٣) سميت بذلك لما فيها من البحث على المنافقين وكشف أسرارهم. تفسير الطبري، ٢٦٨/١٤، وأبو نعيم في الحلية، ١٧٦/١، وابن سعد في الطبقات، ١١٥/٣، والحاكم ٣٧٩/٣.
- (٤٤) سورة التوبة، ٤١.
- (٤٥) سير أعلام النبلاء، ٢٠٠/٣، وصور ومواقف رجال ونساء حول الرسول، ص ٢٩٩-٣٠٠.
- (٤٦) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.
- (٤٧) البخاري مع الفتح، ٣٦/٧، وأحمد ٢٠٤/٣،
- وأصحاب الرسول، محمود المصري، ص ١٢١.
- (٤٨) البخاري مع الفتح، ٣٦/٧، وأحمد ٢٠٤/٣، وأصحاب الرسول، محمود المصري، ص ١٢١.
- (٤٩) صحيح البخاري، باب خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل، ١٨٧/١٤، حديث رقم ٧٢٨٦.
- (٥٠) الكرسف: القطن. لسان العرب، ٢٩٧/٩.
- (٥١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٤٤/١، وأصحاب الرسول، محمود المصري، ٤٥٤/٢، وسور مواقف، رجال ونساء حول الرسول، هاني الحاجي، ص ١٤٣-١٤٢.
- (٥٢) ابن حبان صحيحه، حديث رقم ١٠٩٣، وأحمد في مسنده، ٣٤٣/٣، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب الوضوء من الدم، ١٩٨/١، وابن خزيمة في صحيحه، ٣٦/١، سيرة الصحابة لمحمود المصري، مرجع سابق، ٢٢٤/٢.
- (٥٣) صور ومواقف، مرجع سابق، ص ٢٦١.
- (٥٤) سورة النحل، الآية ١.
- (٥٥) تفسير القرطبي، ٤٥-٤٤/١٠، وأسباب النزول للسيوطي، ١٨٧/١.
- (٥٦) سيرة ابن هشام، ٢٩٣/١-٢٩٤، الروض الأنف، ١٢/٢، والقرطبي، ٢٢٢/١-٢٢٣، والمباركفوري، ١٠٦-١٠٧.
- (٥٧) تفسير القرطبي، ٧٧/١١.
- (٥٨) القرطبي، ١٨٤/١٢، وابن كثير، ٣٦٤/٣، وزاد المسير، ٢٩٨/٣.
- (٥٩) القرطبي، ١٨٤/١٢.
- (٦٠) البخاري، حديث رقم ٦٧٦، باب ما كان في حاجة أهله وأقيمت الصلاة فخرج، ص ١٠، باب ٤٤.
- (٦١) إحياء علوم الدين للغزالي، ج ١، ص ١٣٩، هامش رقم ١١. وقال عنه في الهامش: أخرجه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلًا. انظر المغني عن حمل الأسفار، للقاضي العراقي، ١٥٠/١.
- (٦٢) البخاري مع الفتح، ج ٥، ص ١٣٥، ٢٣٨، وسيرة ابن هشام، ج ٤، ص ٢٧٨، والرحيق المختوم، ص ٤٧٢.
- (٦٣) مسلم بشرح النووي، ج ٥، ص ٢٩٢، حديث رقم ٢٥٧.
- (٦٤) مطوية بعنوان: ماذا بعد رمضان، إبراهيم محمد الحقي، ص ١٠.
- (٦٥) سنن أبي داود، ١٤١/١١.
- (٦٦) موطأ مالك، ٤٠٦/٥، وابن حبان في الثقات، ٤٦٦.

- (٨٨) فتح الباري، ٨/٨٢.
- (٨٩) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، ١١/٣٨٢، حديث رقم ٤٧٥٧.
- (٩٠) سورة الأنفال، الآية ٧٥.
- (٩١) البخاري، كتاب التفسير، ٢١/٤٩، ومسلم، باب الصلاة، ص ٤٩٤، وتفسير القرطبي، ٣/١٩.
- (٩٢) أيسر التفاسير، للجزائري، ٥/٣٤٩.
- (٩٣) الترمذي، ١/٥٧٩، وابن ماجه ١٠/٥٣، وابن حبان في صحيحه، ٦/٤٦٢، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (١٤٤١)، وقال حسن لغيره. والطبراني في الأوسط، ٥/٩٣.
- (٩٤) الطبراني في الأوسط، ٥/٩٣، صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، وقال حسن لغيره، ج ٢، وأبو يعلى، ٢/٣٣٠.
- (٩٥) سورة الحشر، الآية ٢١.
- (٩٦) تفسير القرطبي، ١٨/٣٠.
- (٩٧) أيسر التفاسير، الجزائري، ٥/٢٤٥.
- (٩٨) صحيح البخاري، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ٧٨/١. وصحيح مسلم، ٣٠/١٧، ومختصر ابن كثير، ١/٢٩٩.
- (٩٩) مجمع الزوائد للهيتمي في حديث طويل، ٦/٢٤-٢٧، وانظر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمود المصري، ص ١٤٠.
- (١٠٠) سورة النجم، الآية ٥٧.
- (١٠١) سيرة ابن هشام، ١/٣٠٠.
- (١٠٢) سورة فصلت، الآية ٢٦.
- (١٠٣) سورة النجم، الآية ٦٢.
- (١٠٤) روى البخاري قصة السجود مختصراً عن ابن مسعود عن ابن مسعود وابن عباس، انظر: باب سجدة النجم، وباب سجود المسلمين والمشركون، ١/١٤٦، وباب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركون بمكة، ١/٥٤٣. المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٩٨.
- (١٠٥) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٩٨.
- (١٠٦) الروض الأنف، السهيلي، ج ٢، ص ١٢ وما بعدها، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٩٨.
- (١٠٧) سورة الأنفال، الآية ٢.
- (١٠٨) سورة الرعد، الآية ٢٨.

- (٦٧) سورة النور، الآية ٣١.
- (٦٨) البخاري مع الفتح، ٨/٣٨٣، حديث رقم ٤٦٥٨، وأبو داود شرح السنن، ١١/١١٧، حديث رقم ٤٠٩٦.
- (٦٩) صحيح البخاري مع الفتح، ٨/٣٨٤.
- (٧٠) المرجع السابق، ٨/٣٨٤.
- (٧١) فتح الباري، كتاب التفسير، ٨/٣٨٤.
- (٧٢) صور ومواقف، رجال ونساء حول الرسول، مرجع سابق، ص ٣٦٧، نقلاً عن كتاب صلاح الأمة، ٥/٥٦١.
- (٧٣) سير أعلام النبلاء، ٣/٦٦، ٧٧، وأبو نعيم في الحلية، ٢/٤٣، والبيهقي، ٤/٣٤-٣٥.
- (٧٤) العضل: بمعنى المنع، قال ابن عباس: كان الرجل إذا طلق امرأته تطليقة أو تطليقتين فأراد أن يتزوجها أو أن يراجعها، وتريد المرأة ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك، فنهى الله أن يمنعوها. ابن كثير، ١/١١٥.
- (٧٥) سورة البقرة، الآية ٢٣٢.
- (٧٦) صحيح البخاري، ص ٥١٣٠، و٥٣٣١، والترمذي ص ٢٩٨١ وأبو داود ٢٠/٨٧، والبخاري مع الفتح، ٨/٤٦.
- (٧٧) أخرجه الدارقطني، ٨/٣١٤، وقال هذا حديث صحيح.
- (٧٨) تفسير القرطبي، ٣/١٠٤-١٠٥.
- (٧٩) فتح الباري، ٩/٤٥٥.
- (٨٠) سورة المائدة، الآيتان رقم ٩٠-٩١.
- (٨١) صحيح البخاري، باب قوله: إنما الخمر والميسر، ١٤/١٤١، حديث رقم ٤٦١٧.
- (٨٢) الفضيخ: وهو شراب يُتخذ من البسر المفضوخ [البسر هو أول الخمر]: أي المشدوخ. وسئل ابن عمر عن الفضيخ فقال: [ليس بالفضيخ ولكن هو الفضوخ] الفضيخ: فَعُول من الفَضِيخَة أراد أنه يُسَكَّرُ شاربُه فيفضّخه. النهاية في غريب الأثر، ٣/٨٧٥.
- (٨٣) صحيح البخاري، باب صب الخمر في الطريق، ٨/٣٤٩، حديث رقم ٢٤٦٤.
- (٨٤) تفسير القرطبي، ٦/٢٩٢.
- (٨٥) سورة الحجرات، الآية ٢.
- (٨٦) صحيح البخاري، ٣٦٧، ٤٨٤٧، و٤٨٤٥.
- و٣٠٢.
- (٨٧) الهروي في ذم الكلام، ص ٩٦٨، والبيهقي في المدخل إلى السنن، حديث رقم ٦٥٣، وتنظيم قدر السنة لنشأت كمال المصري، ص ١٥.